

# عائد من الظلام

بقلم / أعلام النصر

قِصَّةٌ مَثَلٌ لَوَاحِدَةٍ مِنْ جَرَائِمِ الصَّليب



# عائد من الظلام!

- الحلقة الخامسة والعشرون -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قصة:

# عائد من الظلام!

- الحلقة الخامسة والعشرون -

#بقلم: #أحلام\_النصر

(قصة مثل لواحدة من جرائم الصليب)

#قناة\_مؤسسة\_أوار\_الحق



كانت "هيلين" مضطربة الخاطر والظاهر، تتأرجح قدمها بين الإقدام والإحجام، ويكاد قلبها يثب من مكانه فرقا، إلا أن القس "ألفرد" شجعها على المضي في الأمر، وكان صارما في وجوب تنفيذها له من جهة، ومطمئنا لها أنه سيقف إلى جانبها من جهة أخرى.

ولضمان أكبر لنجاح الأمر كما قال؛ أوصاها أن تحوم حول مكتب القس "مارسيل" حتى تضمن عدم وجوده، وأن تكون خالية اليدين خلال ذلك؛ لئلا يرى أحد الكيس إياه معها، ولكن في الجانب الآخر:

همس "ألفرد" للخدام "أنطون":

- أترى هذه التي تحوم حول مكتب القس "مارسيل"؟

صرَّ "أنطون" على أسنانه بغيظ، وقال:

- إنها "هيلين"!! تبأ لها! ماذا تريد؟!

وهمَّ بالركض خلفها، فمنعه "ألفرد" هامسا:

- ابقَ عندك! ماذا تظن نفسك فاعلا؟!

و حين زفر "أنطون"، وعاد جالساً؛ همس "ألفرد" بابتسامة خبيثة:  
- صبراً لنرى المشهد كله؛ عسى فيه ما ينفعنا! إنني أكره الحلقات المجتزأة يا بني!

غمغم "أنطون" بقلّة رضا:  
- أمرك يا سيدي!

ودارت "هيلين" ثلاث مرات حول المكتب كما طلب منها "ألفرد"، ثم غابت قليلاً، حيث كانت تستلم كيس المخدرات من "ألبرت" في إحدى الردّهات، وبعدها اتجهت إلى المكتب، وتلقّت حولها بحذر، ثم دخلت إليه وأغلقت خلفها الباب، وهنا همس "أنطون" بعصبية:  
- سحقاً لها! ما كان ذلك الشيء بحوزتها؟! وكيف تدخل المكتب هكذا؟!!

همس "ألفرد" متذمراً، وهو يشد الخادم من ياقته:  
- قلت لك: اهدأ!

وبقيا ينتظران حتى ظهر القس "مارسيل" متجهاً إلى مكتبه، فهمس "أنطون"  
برعب:

- إنه سيدي!

والتفت إلى "ألفرد" متابعاً:

- أخشى أنها ستؤذيه! تلك المجنونة!

هز "ألفرد" رأسه وقال:

- اذهب وكن معه إذاً، وأنا سأجلب النجدة!

- لا تتأخريا سيدي!

ووثب "أنطون" باتجاه القس، فاستغرب القس من سرعة ظهوره أمامه وقال:

- "أنطون"؟ أهلاً بك، من أين نبعتَ؟

قال "أنطون" وهو متلاحق الأنفاس:

- سيدي.. إن "هيلين" في الداخل!

زوى القس بين حاجبيه مستغرباً، وقال:

- وكيف سمحتَ لها بالدخول؟

- لقد.. لقد غافلتني يا سيدي!

استدار القس، وأمسك بمقبض الباب، وقال:

- حسن لا بأس، سأطردها بنفسى هذه المرة.

هتف "أنطون":

- لكننى أخشى عليك منها يا سيدي!

ضحك القس، وقال باستخفاف:

- ما عسى امرأة حشرة مثلها أن تصنع؟! تتحَّ جانباً وحسب!

ودخل "مارسيل"، ودارت مشاحنة بينه وبين "هيلين" التي نفّدت كلامَ "ألفرد" بالحرف، أما "مارسيل" فقد أرتج عليه وهو يرى صنفَ المخدرات الذي يوزعه فعلاً، وإن كان مستغرباً من وصوله إلى "هيلين".

- ولكن! من أين حصلتِ عليه؟!

- أنت.. أنت أعطيتني إياه! .. وإذا لم تنفذ وعدك لي.. فسوف.. أفضحك!!

اكفهرت ملاح "مارسيل"، وصرخ بوحشية وهو يمسك بـخناق "هيلين":

- أتهديني أيتها التعسة؟! سوف أقتلك وأخلص منك!!

وهنا اقتحم "ألفرد" و"سيدريك" و"ألفرد" المكتب، وبصحبتهم قساوسة آخرون، وكان "أنطون" يلهث قائلاً:

- بسرعة! أدركوا سيدي!!

وصار الذهول سيد الموقف؛ إذ كان الجميع مصدوماً، خلا "ألفرد" الخبيث ومرافقيه، و"هيلين" التي شعرت بأنها تقترب من تحقق مناهها، أما القساوسة الآخرون فكانوا مستغربين مما يرون، وبدأ "مارسيل" في موقف لا يُحسد عليه؛ فهو متلبس بالأمر تماماً.

وسأل القس "روكي":

- ما هذا الذي يجري يا "مارسيل"؟!

ترك "مارسيل" ياقة "هيلين" بارتباك، وقال:

- ل.. لا شيء يا سيدي، إنها "هيلين" المزجة وحسب، كل الأمور على ما يرام.



هتفت "هيلين":

- لا يا سيدي! إنه يكذب!

وأخرجت جهاز التسجيل، ومدّت به يدها باتجاه القس "روكي" وسط ذهول  
"مارسيل"، وقالت:

- يمكنك أن تسمع بنفسك!

واستمع الجميع إلى المحتوى المسجل، ثم قال "روكي" وهو ينظر إلى "مارسيل" بحدة:  
- ما قولك يا "مارسيل"؟!

همس "مارسيل" بضعف، وهو يجفف عرقه بمنديله:

- مؤامرة! مؤامرة دنيئة من هذه المرأة! إنها.. تحاول إخراجي والانتقام مني!

وهنا تدخل "ألفرد" قائلاً:

- اسمحوا لي بكلمة رجاء.

فالتفت الجميع إليه باهتمام، وأشرق وجه "هيلين"، ثم اكفهر مجدداً حين قال  
"ألفرد" بهدوء خبيث:

- الحق أنني لاحظتُ أن "هيلين" تحوم حول مكتب القس "مارسيل"، بينما كنت أتكلم مع خادمه "أنطون"، وأسأله عن صحة سيده.

أوماً "أنطون" برأسه مؤيداً، فتابع "ألفرد"، وهو يتمشى بحركاته التمثيلية المعتادة:  
- لم يبدُ الأمر مريحاً؛ فنحن بصدد امرأة مضطربة تحاول الإيقاع بقس كبير!  
ولهذا بقيتُ أراقب الوضع، حتى إذا شعرتُ بالخطر خَفَفْتُ لجلب النجدة!

واستدار فجأة، وهتف:

- لكن هل صديقنا "مارسيل" بريء فعلاً؟!!

وفتح ذراعيه وتابع:

- إنه يا سادتي قد غدر بخليته التي كانت تساعد في توزيع المحظور على طلابنا  
المساكين!

وأشار إلى المسجل الذي كان بيد القس "روكي"، وتابع:

- وهذا باعترافها الذي سمعناه جميعاً! إضافة إلى أن عدداً لا بأس به من الطلاب  
مستعد للشهادة بأن القس "مارسيل" هو مصدر تمويلهم!

ووضع يده على كتف "أنطون" بمودة ساخرة، وقال:

- بل حتى خادمه اللطيف هذا، والذي تفوق في طاعته على الخاتم في الإصبع،  
والذي يلي للقس كل طلباته بل ورغباته: سنجد أن المخدّر يمرح في دمه!

ساد الصمت الذاهل لدقائق لا بأس بها؛ كان شعور "مارسيل" و"هيلين" كشعور  
الفئران في المصيدة تماماً، أما "سيدريك"؛ فقد كان منتشياً منتصراً، وإن حاول  
إخفاء ذلك بالتظاهر بالصدمة كذلك، وأخيراً قال القس "روكي":

- كعادتك لا تنسى شيئاً يا عزيزي "ألفرد"! وإن كنت أتساءل عمن خولك للقيام  
بكل هذه التحريات!

أظهر "ألفرد" امتعاضاً ساخراً، وهو يقول بوداعة:

- لنقل إنك على جانب لا بأس به من الدعابة يا صديقي! فأنا "ألفرد"! أينما كانت  
المصلحة أكون!!

كتم "سيدريك" ضحكةً حاولت التسلل من بين شذقيه؛ فظاهرُ كلام "ألفرد" أنها  
المصلحة العامة، لكن الحقيقة هي مصالح "ألفرد" وحسب!

قال "روكي":

- عظيم! سنتوثق من كل إفاداتك، وحتى ذلك الوقت؛ سنتحفّظ على القس  
والراهبة، وننزل بهما العقاب اللازم، على محاولة جلب الفضيحة للكنيسة!!

رفع "ألبرت" حاجبيه مستغرباً؛ إذ لم يسمع حتى الآن كلمة عن مصلحة الطلاب التي تضرّ المخدرات بها، بل كل ما يشغل القساوسة هو الدعاية والصورة العامة!!

وهمس "مارسيل" لـ "روكي" بينما كان المرافق يمسك بعضده بإحكام:

- لا تحاولوا أن تجعلوني الممولّ الوحيد للمخدرات!!

همس "روكي" ببرود:

- ربما لم تكن الممولّ الوحيد فعلاً، غير أنك الأحمق الوحيد!! طفل بين عمالقة!

سمكة سردين بأسة بين حيتان متوحشة!!

زجر "مارسيل" بغضب وهو يحاول المقاومة:

- قل لي بماذا أخطأتُ معكم يا "روكي"؟!

قال "روكي" باختصار وابتسامة باردة:

- هه! وهل تستطيع؟! كل ما هنالك أن صلاحيتك قد انتهت يا عزيزي البائس!

صرخ "مارسيل" وهو يمشي قسراً مع القابضين عليه:

- لن أسكت! سوف ترون!

قال "ألفرد" وهو يضع يده في جيبه:

- سأعطيك مكبر صوت يساعدك على الاستمتاع بصوت صراخك في السجن!

ضحك القساوسة، ثم التفتوا إلى "هيلين" الدامعة، وهي تسير باستسلام مع القابضين عليها، وهمست بصدمة لـ "ألفرد":

- لقد غدرتَ بي يا سيدي!! لم يكن هذا وعدك لي!

رفع "ألفرد" أحد حاجبيه مستغرباً، وقال:

- وما علاقتي بك أصلاً حتى أعدك بأي شيء؟!

هتفت "هيلين" منهارة:

- بل وعدتني!!

وبصعوبة أشارت إلى "سيدريك" و"ألبرت" وتابعت:

- وهما يشهدان!

تظاهر الاثنان بالذهول، ورغم انزعاج "ألبرت" من الموقف كله، إلا أنه صُعبق بقولها:

- وهذا من أعطاني المسجل بأمرك!

نظر "روكي" إلى "ألبرت" منتظراً رده، فتمالك "ألبرت" نفسه سريعاً، وقال متلعثماً:  
- أنا.. لا أفهم عن.. أي شيء تتحدث هذه المرأة!!

زجرها "روكي" بعنف قائلاً:

- كفي إذًا! وهيا خذوها بعيداً! سيكون حسابك عسيراً!! ستغادرين الدير بفضيحة  
مدوية، تمنعك من مزاوله أي عمل جيد!! وستكونين عبرة لأية حمقاء تحاول  
تحدي القساوسة!! أنتن محض حشرات لا قيمة لهما!! ومن تنسى ذلك فليس لها  
عندنا سوى الدعس!!

وتهافت "هيلين" وسط شهقاتها، حتى غابت عن أنظار الجميع، ثم انصرف كل منهم  
إلى شأنه.

كان "ألبرت" هادئاً حزيناً شاردًا، ثمة شيء في داخله يرفض كل ما جرى؛  
فصحيح أن "هيلين" أخطأت في حق نفسها، إلا أن "مارسيل" هو الذي أغواها، كما  
أنها نالت فوق ما تستحق، على حين أن "مارسيل" نفسه ما كان ليتورط بشيء لو أنه  
لم يكن عقبة في طريق "ألفرد" و"سيدريك"، "ألفرد"! ذلك الشيطان العجوز  
الخبث!!

وأفاق "ألبرت" من تأملاته على صوت "ألفرد" يسأله بنعومة:

- أين وصلت يا بني؟!

استدار "ألبرت" إليه، وسأله باختصار:

- لماذا جعلتني أعطي المسجل بنفسه لـ "هيلين" يا سيدي؟!

ابتسم "ألفرد" وقال:

- أتتكر أنك أشفقتَ عليها؟ وربما فكرتَ في الشهادة لصالحها؟! كان لا بد أن  
أحتاط لمثل هذا الموقف يا بني...

وتابع بقسوة:

- ودون أن أفرط بك!!

ارتعد "ألبرت" ثم قال متنهداً:

- لا أنكر أن ضعفها آلمني كثيراً.

تنهد "ألفرد" وقال:

- الرحمة ضعف يا بني، ولا أريدك أن تكون ضعيفاً!

وأمسك بكتفيه، وحدّق في عينيه متابعاً:

- أريدك أن تكون قوياً.. مثلي تماماً! ولو على حساب الآخرين!!

حدّق "ألبرت" في عينيّ القس، ثمّ تتمّ باستسلام:

- وأنا أحب أن أكون قوياً! لذلك.. أمرك يا سيدي!

\*\*\*

(٥٦)

كان "محمد" جالساً مع أخيه "أحمد" يحدثه عما وصل إليه من دروس في الدورة الشرعية المكثفة مع الشيخ، وكان "أحمد" يستمع إليه بجذل كبير، وبينما كانا كذلك.. إذ بأصوات قطعت حديثهما؛ فقد عاد الأخ "مصعب" ومنّ معه من مهمتهم، وخفّ الجميع للسلام والاطمئنان عليهم، وابتسم "أحمد" وتأهّب للذهاب بدوره، أما "محمد"؛ فقد انتفض واقفاً ذاهلاً متفاجئاً جداً من شكل "مصعب"؛ إذ كان أشقرَ بعينين زرقاوين، ولم يحتمل أكثر، فاقترّب من الجمع، وهتف بغیظ:

- ماذا يظن هذا نفسه فاعلاً هنا؟!!



والتفت إلى أخيه وتابع باتهام:

- ما هذا يا "أحمد"؟! إنه يشبه "ألفرد" كثيراً!!

نظر إليه المجاهدون بإشفاق، كلهم كان متفهمًا لحالته، والتفت "أحمد" إلى المجاهد الأشقر وقال:

- بالله عليك لا تغضب يا "مصعب".

قال "مصعب" بلطف:

- لا ومعاذ الله يا "أحمد"، كان الله في عون أخيك.

ازداد استغراب "محمد" من الموقف؛ كان يتوقع سماعَ كلمات أخرى من "مصعب" هذا؛ من قبيل تشبيهه بالحشرات السوداء كما اعتاد في ذلك المعسكر الكئيب، ولكن "أحمد" اقترب منه، وربّت على كتفه بلطف، وأجلسه واحتضن إحدى يديه بين كفيه، وقال بصوته الرخيم:

- "محمد" يا حبيبي؛ هنا نحن جميعاً سواسية في دين الله عز وجل، لا فرق بيننا أبداً، ولا تفاضل بيننا إلا بالتقوى.

وأشار "أحمد" بسبابته إلى بعض المجاهدين وقال:

- انظر! أخونا هذا من أريتيريا، وهذا من بلاد الشام، وذاك من أرض الحرمين، وهذا من فرنسا، وهذا ابن قريننا، وأخونا "مصعب" من بريطانيا.

وتابع وهو ينظر في عيني أخيه بثقة وتأکید:

- كلنا إخوة، كلنا يا "محمد"، لن يسخر منك أحد بسبب لونك الذي يشبه لون الكعبة قبله المسلمين، ولن يضطهدك أحد، لن يحاربك أحد إلا إن جحدت خالقك العظيم جل جلاله.

واقترب "مصعب" من "محمد"، وجثا على ركبتيه، ووضع يديه على ركبتي "محمد"، وقال بهدوء وهو ينظر في عيني "محمد" بأخوة وتقدير:

- لقد سمعت طرفاً من قصتك، وإنني أقسم لك يا "محمد" إنني إن ظفرتُ بـ "ألفرد" هذا فلن ينجو مني بإذن الله تعالى، وإنني أعتر بأنني كسبتُ أخاً جديداً عانى طويلاً بين الكفار الأنجاس، ومع هذا: بقي بتوفيق الله تعالى محتفظاً بنقاء قلبه، وعاد سريعاً إلى التوحيد.

وعانقه وهو يقول:

- أحبك في الله يا "محمد".

بكى "محمد" وهو يعانق أخاه البريطاني، وقال بندم:

- بالله عليك سامحني.

همس "مصعب":

- لا تريب عليك يا أخي.

تأمل "محمد" في الجميع، وهمس بتأثر:

- ديننا هذا.. إنه عظيم! عظيم جداً!

قال "مصعب" مؤكداً:

- نعم، إنه كذلك فعلاً؛ ولهذا يحاربونه!

هز "محمد" رأسه مؤيداً وهو دامع العينين، كم كان البون شاسعاً بين ما يعيشه هنا، وبين ما كان يقاسيه هناك من عنصرية وظلم وعنجهية! إنه الفرق بين النور والظلام، بين الإسلام والكفر!!

\*\*\*

يتبع ...

